

أختام الحكام الفرنسيين في الجزائر (من القرن ١٩ إلى القرن ٢٠)

أ. خديجة نشار بواشي*

دراسة الأختام هي ما يسمى بالسيجيلوغرافية Sigillographie ويعود تاريخ وجود الأختام منذ فجر التاريخ حيث وجدت في بلاد الرافدين نماذج مصنوعة من الطين وضعت على فوهات الجرار لغلقتها ، كما ظهرت الأختام في صفحات عديدة من الأنجيل واستمرارية استعمالها في الفترات المختلفة للحقب التاريخية ، إن استعمال الأختام لم يتوقف على الحكام فقط بل انتشر إلى العديد من الشخصيات في المجالات المختلفة منها الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، وكانت هذه الأختام تعبر عن وضعية فئة من الناس أو مهنته أو مكان معين وذلك بما يوجد على الختم من صورة أو زخرفة أو رموز أو شعار ، كانت هذه الأختام تصنع من المعادن : ذهب، فضة أو رصاص أو من الشمع، أو الجص.

تعريف المصطلح Sigillographie :

هي دراسة الأختام (ويقالها باللاتينية Sigillum) ويعتبر هذا العلم المكمل لعلم التاريخ والكلمة المرادفة لعلم Sigillographie تسمى عند البلاد الجرمانية (Germanophones) Sphragistique.

تاريخ السيجيلوغرافيا Sigillographie :

كان يطلق عليها مصطلح سفغاجيستيك Sphragistique في القديم، ثم تطور هذا العلم في البلاد الأوروبية وخاصة في فرنسا في الدراسات الخاصة بالعلوم السياسية والدبلوماسية التي كانت تحتوي هذا النوع من الأختام.

فقام كل من دي ويلي Nathalie de Waily ودوي Louis Douet d'Arcq ولأبرد Leon Laborde بجمع الأختام التي يرجع تاريخها ١٨ و١٩م ودراستها ووضعها في الأرشيف الوطنية Archives Nationales ، جاء ريفوال Pierre Revoil بحوالي ٣٠٠ قطعة خلال سنة ١٨٣٠م ووضعها في متحف اللوفر (Louvre) ، أصبحت الأختام ذات أهمية خاصة في الدراسة وذات مرجعية مهمة، بحيث أنها تساعد على تأريخ بعض الأحداث التاريخية والاطلاع على عدة جوانب من الحياة الدينية (باستعمال الأيكونوغرافية والشعارات الدينية) والاجتماعية وبعض الزخارف الرمزية والكتابية والباليوغرافيا(دراسة ما يرتدي الشخص من لباس.....الخ

* معهد الآثار جامعة الجزائر

- يستعمل الختم من الحجر أو المعدن على سطح مرن لوضع طابع ويكون في الغالب من الشمع الطبيعي (شمع النحل)
- والآلة التي تساعد على وضع الختم تسمى (La matrice de Sceau) وهذه الأخيرة من مادة البرونز أو النحاس.
 - شكل الختم يكون دائري أو بيضوي ويتراوح قطره ما بين ٢سم إلى ١٠سم، يستعمل الختم يستعمل كعلامة شخصية لصاحب السلطة ويعطي مصدقيه لكل مراسلة له.

وظيفة الختم :

- ١- المصادقة على الوثائق الرسمية
 - ٢- غلق المراسلات الرسمية بواسطة الختم.
- ولذا فإن القيمة القانونية للختم في العصور الوسطى هي بمثابة الإمضاء في النظرية القانونية المعاصرة.

أهم الأشكال الزخرفية التي ظهرت على الأختام :

- صنفنا الأختام على حسب العناصر الزخرفية التي تغدت عليها.
- ١- **ختم الملك أو الجلالة** : يحتوي على شخصية الملك جالس على عرشه وإشارات لملكه وسيادته.
- ٢- **ختم الفروسية**: يحتوي على شخصية الفارس يمتطي فرسه وحامل لأسلحته.
- ٣- **ختم الكنيسة** : ecclésiastique، نفذ عليه شخصية جالس أو واقف يرتدي لباس خاص بوظيفته .
- ٤- **ختم الأنثوي** : خاص بالسيدة ذات مرتبة عالية في لباس فاخر.
- ٥- **ختم هاجيوغرافيك hagiographique** : وهو خاص بالمجال الديني أي يرمز إلى المؤسسات الدينية مثل الكنائس وغيرها.
- ٦- **ختم معماري** : خاص بالمدن وأهم المعالم الأثرية الموجودة بها.
- ٧- **ختم الشعار héraldique** : الذي يحتوي على زخارف رمزية أو محورة عن الطبيعة ولا يزال أكثر انتشارا في المجتمع.

* انتشر استعمال الأختام في الجزائر خلال الفترة العثمانية في عهد الدايات والبايات وكان العنصر الزخرفي الرمزي الشائع الاستعمال هو الهلال كان كل حاكم أو مسؤول في الحكومة له ختمه الخاص، وهذه الظاهرة تواصلت مع دخول الفرنسيين واستيلاءهم على الجزائر، فأصبح كل حاكم له ختم خاص يحمل اسمه ووظيفته مثل الماريشال بيجو Maréchal Bugeaud والماريشال بليسيي Pelissier وغيرهم من الحكام الذين توافدوا على بلاد الجزائر.

هذه المجموعة من الأختام أنجزت من طرف فنانيين جزائريين من عائلة واحدة (التي ورثوها من جد إلى أب إلى ابن) والمعروفة باسم "راسم" Racim واشتهرت برسم

لوحات على شكل منمنمات، وما يلفت الانتباه هو استعمال العبارات بمختلف أنواعها وأسماء الحكام ووظيقتهم باللغة العربية وكذا تاريخ حكمهم إن من المرجح أن هذه الظاهرة المستعملة من طرف الحاكم أو المستعمر الفرنسي ما هي إلا طريقة للإندماج مع فئة معينة من الجزائريين واستغلالهم لها والوصول إلى هدفهم المنشود. حاولنا من خلال هذه النماذج من الأختام أن نتوقف على قراءة النص واستخراج ما يحتوي عليه من عبارات وشعارات ورسومات.

الصورة رقم ١:

ختم ذو شريط دائري يحتوي على شطرين من الكتابة تتخللها عناصر زخرفية نباتية نصها :
الشرط الأول :

قال الله تعالى : " إن الأرض يورثها من يشاء من عباده "

الشرط الثاني :

والي مملكة الجزائر يفصل الشطرين عنصر زخرفي يمثل مدفعين متقاطعين وزهرة خماسية الفصوص في الوسط كتابة نفذت على ٣ أسطر :

الوائق بالرجو

عبده المرشال بجو

سنة ١٢٥٩

هذا الختم يحتوي على آية قرآنية، ووظيفة الشخصية المشار إليها في الوسط مع تحديد السنة الهجرية ١٢٥٩ ، (الموافقة ١٨٤٥ م غير مسجلة).

صورة رقم ٠٢ :

ختم ذو شريط دائري يحتوي على شطرين من الكتابة تفصلهما عناصر نباتية ورسم لتاج ملكي.

الشرط الأول : المرشال والي مملكة الجزائر والشرط الثاني نصره الله.

في وسط الختم زخرفة تتمثل في قضيبين يرتكز عند تقاطعها صقر باسط جناحيه وعلى رأسه تاج. كما رسمت ٧ نجوم خماسية الرؤوس تتخلل هذه المساحة.

من الملاحظ أن هذا الختم لا يحتوي على إسم صاحبه أمابل بليسيي Amable Plessier الذي يعود تاريخ حكمه في الجزائر إلى سنة ١٨٦٠ م.

صورة رقم ٠٣ :

ختم نو شريط دائري يحتوي على كتابة نصها :
" المتوكل على مولاه في السر والجهر والي الولاية الكونت دفيدون أمير البحر " ، عند
أول هذه الكتابة رسم مرساة للفصل ما بين بداية الجملة ونهايتها وفي الوسط رسم شعار
البحرية للحكومة الفرنسية وكتابة لاتينية على يمين ويسار الشعار :
« Evince eguida »*

يرافقكم الانتصار. (que la victoire vous guide).

صورة رقم ٠٤ :

يحتوي على شريط كتابي دائري يتوسطه رسم هلال ونص الكتابة :
" أمير الجيوش البرية والبحرية بالعمالات الجزائرية" وفي الوسط كتابة انفذت على ٣
أسطر / الوثائق بالمجازي
الجنرال شنزى

١٨٧٣

نلاحظ أن في هذا الختم كلمة سنة لم تسجل.

صورة رقم ٠٥ :

يحتوي على شريط كتابي دائري يتوسطه رسم هلال ونص الكتابة :
"الوالي العام بالعمالات الجزائرية حفظه الله لحفظه المكنون"
وفي الوسط كتابة نفذت على ٤ أسطر :

الوثائق بالرحمن

عبده

لويس ترمان

سنة ١٨٨٢

صورة رقم ٠٦ :

تحتوي على هلالين، رسم الأول على الشريط الدائري، وتتخلله نجمة خماسية الرؤوس
ونص الكتابة : " الوالي العام بالولاية الجزائرية حفظه الله في السر والعلانية "
أما الهلال الثاني تتخلل مساحته كتابة نصها :

* - EVINCE – كلمة لاتينية تعني النصر أو الانتصار.

EGUIDA – كلمة باللغة الفرنسية القديمة (provincial) تعني guider أو يرافق.

" الوثائق لمن أمره بين الكاف والنون، وفي القرص كتابة نفذت على ٤ أسطر نصها :

عبد

جول

كامبون

سنة ١٨٩١

نلاحظ أن في هذا الختم وردت كل من اسم ولقب الحاكم.

صورة رقم ٠٧ :

يحتوي الختم على شريط كتابي دائري به أهلة تعلوها نجمة خماسية الرؤوس وزخارف نباتية متمثلة في أغصان ، أوراق وأزهار. وسط الختم يحتوي على كتابة نفذت على ٥ أسطر نصها :

الوثائق بالمعين

عبد

عموم قطر الجزائر وقاه

الله سوء الدوائر

سنة ١٨٩٨

صورة رقم ٠٨ :

يحتوي محيط الختم على أشكال مسننة وبداخله شريط به زخارف شبه دائرية يتخللها هلال ونجمة خماسية الرؤوس ، أما في وسط الختم نفذت كتابة على ٥ أسطر نصها :

الوثائق بالقدير

عبد

عموم الجزائرية حفظه

الله في السر والعلانية

سنة ١٨٩٨

صورة رقم ٠٩ :

محيط الختم عبارة عن الكليل من أنصاف أوراق، ويلية هلال يحتوي على أغصان تتخللها أنصاف مراوح نخيلية ووريات ، وهلال أصغر به كتابه نصها : " والي عموم الجزائرية حفظه الله في السر والعلانية. "

أما الشكل الدائري يحتوي على كتابة نفذت على ٤ أسطر يعلوها هلال بداخله نجمة خماسية الرؤوس ونصها :

الوثائق بالفاعل

المختار عبد

جونار

سنة ١٩٠٠

صورة رقم ١٠ :

يحتوي الختم على شريط دائري مزخرف يشبه الصورة رقم ٨ ، وما نلاحظه هو رسم الهلال التي تتخلله كتابة نصها : والي عموم الجزائرية صيانة رب البرية. أما الدائرة تحتوي على مربعين متقاطعين نتج عنهما نجمة ثمانية الرؤوس، وتتوسط هذه الرؤوس أنصاف أزهار مفصصة. أما المساحة المضلعة نفذت بداخلها كتابة على ٤ أسطر :

المعتصم
بذى الجلال عبده
ريفوال
١٩٠١

صورة رقم ١١ :

يحيط بالختم شريط زخرفي مسنن ونباتي ويليه هلالين ودائرة يحتوي الهلال الأول على عناصر نباتية تتمثل في أغصان وأوراق تتخللها أزهار مفصصة، أما الهلال الثاني به كتابة نصها : "الولي العام على الجزائرية دامت أيامها سنية" أما الدائرة بها كتابة نفذت على ٥ أسطر :

الواثق
بالحق الحقيق
عبده
طيو دوراستيق
سنة ١٩٢١

نلاحظ أن هذا الختم يحتوي على اسم ولقب الحاكم.

صورة رقم ١٢ :

يتميز هذا الختم بمحيطه الخارجي الذي يتمثل في زهرة مفتوحة، يحتوي بداخله على شريط به كتابة نصها : "من لا يصده الإرهاب في مفاصمة الأهوال". يحد هذه العبارة رسم مدفعين متقاطعين في أولها وآخرها. الشطر الثاني من الكتابة يحتوي على عبارة : " المتولى على الجزائرية". ثم تليها دائرة يتخللها رسم مرساة ancre تحيطه أغصان مورقة. ثم يأتي الشطر الأخير من الكتابة، نصها : "حفظها الله من كل بلية". يلي هذا الشطر رسم هلال تتخلله ٥ نجوم خماسية الرؤوس وأغصان مورقة

أما الدائرة تحتوي على كتابة نفذت على ٤ أسطر، نصها :

عبد
أمير البحر
جان ابريال
١٩٤٠

صورة رقم ١٣ :

المحيط الخارجي متماثل للصورة رقم ١٢، يحتوي الختم على كتابة تنقسم إلى شطرين:
- الشطر الأول نصه : الساعي لخير العباد وحراسة الأوطان.
- الشطر الثاني نصه : الوالي العام على الجزائرية حفظها الله سرا وعلانية.
أما الدائرة تحتوي على شكل كتابة نفذت على ٤ أسطر نصها :

عبد
القائد الأعلى
فيفان
١٩٤١

يتخلل كلمة عباد رسم يمثل مقبض لسيف.
استطعنا من خلال هذه النماذج من الأختام استطعنا أن نستخرج مجموعة من المعلومات التي تمثلت في العناصر الزخرفية الآتية :
- الكتابة التي نفذت بالخط النسخي المغربي والخط النسخي المشرقي. وظهرت على شكل أشرطة دائرية أو في دائرة محورية تتوزع فيها الكتابة على عدد من الأسطر. ونشير ظهور كتابة باللغة اللاتينية (صورة رقم ٣).
- العناصر النباتية : تمثلت في الأغصان والأوراق والأزهار المحورة عن الطبيعة ومجموعة رسمت على نمط الأرابسك (صورة رقم ١١).
- العناصر الهندسية : رسمت دوائر وزعت على مساحة الختم (صورة رقم ٧) كما نلاحظ دوائر يحيط بهم الهلال (صورة رقم ١٢) أما الصورة رقم ١٠ تحتوي على مربعين تداخلين لتصبح نجمة ثمانية الرؤوس.
- العناصر الرمزية :

إن أكثر العناصر التي شاع استعمالها على هذه القطع هو الهلال بمفرده أو الهلال والنجمة، مع العلم أن الهلال هو شعار الدول العثمانية حيث وجد على جل البنائيات (القصور والمنازل) والصناعات الحرفية والقطع النقدية... الخ.
ظهرت أشكال ترمز إلى البحرية مثل المرساة (صورة رقم ١٢) كما رسمت على بعض القطع مدفعين متقاطعين (صورة رقم ١٢) وشعار يحتوي على أسيد وراية وصليب مالطة (Croix de malte) وشكل يمثل مركب يعلوه تاج ملكي (صورة رقم ٣).

نستنج من خلال ما ورد على هذه الأختام أن طريقة كتابة أسماء الحكام وكلمة الجزائر وكلمة سنية جاء كما يلي :

- نلاحظ أنه يغلب تسجيل اللقب للحاكم على اسمه ، فقد اقتصر استعماله على ٤ نماذج (صورة رقم- ٥ -٦- . ١١-١٢).
- وردت كلمة الجزائر على هذه النماذج بالطريقة التالية : جزاير- جزاير جزايرية- الجزايرية.

- سجلت على الأختام وظيفة كل حاكم وسنة حكمه ومرافقة للسنة الميلادية ما عدا الختم (صورة رقم ٠١) الذي سجل بالسنة الهجرية.
ما يلفت الانتباه في هذه الأختام هي العبارات الدينية والأدعية المسجلة عليها وتمكننا من إحصاء مجموعة منها والمتمثلة :

- إن الأرض يورثها من يشاء من عباده.
- نصره الله
- المتوكل على مولاه في السر والجهر
- حفظه الله لحفظه المكنون
- حفظه الله في السر والعلانية
- الواثق بالتقدير "عبده"
- الواثق بالفاعل المختار "عبده"
- المعتصم بذى الجلال "عبده"
- الواثق بالحق الحقيق "عبده"
- صانه رب البرية
- الواثق لمن أمره بين الكاف والنون
- الواثق بالرحمن "عبده"

إن هذه العبارات وردت في العديد من القطع النقدية التي تعود إلى الفترة العثمانية التي عرفت تغييرا جذريا من حيث مضمون النص المكتوب، بعدما كانت شهادة التوحيد والرسالة المحمدية والآيات القرآنية كقاعدة للسكة الإسلامية، تميزت القطع النقدية العثمانية عن القطع الإسلامية السابقة، وعوضت بالألقاب الفخرية والأدعية للسلطان ، ونصوص تشير إلى قوة الدولة وهيبتها.

فأصبحت هذه العبارات إرثا للحكومة الفرنسية ونخص بالذكر الفرنسيين عند استيلاءهم الحكم في الجزائر منذ سنة ١٨٣٠م، والدليل على ذلك الأختام التي حاولنا أن نتعرف عليها في هذا الموضوع.

نشير إلى أن هذه الظاهرة ما هي إلا ظاهرة للتقرب إلى السلطات والحكام الجزائريين آنذاك من جهة وكسب الثقة اتجاه المجتمع الجزائري من أخرى.

البيبليوغرافيا:

- تاريخ الجزائر من خلال المسكوكات . المتحف الوطني للآثار القديمة والإسلامية الجزائر ٢٠٠٧.
- محمد عمارة قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية بيروت ١٩٩٣.
- MARCAIS, G. Sceaux des gouverneurs généraux de l'Algérie. Paris 1952



صورة رقم ١

* ٣١ جويلية ١٨٤٣ : توماس روبيرت بجو-دوق ديرلي- ماريشال فرنسا (Thomas Robert)



صورة رقم ٢

* ٢٤ نوفمبر ١٨٦٠ : أمابل بليسيي-دوق مالكوف- مريشال فرنسا (Amable Pélissier)



صورة رقم ٣

• ٢٩ مارس ١٨٧١ : كونت لوي ديفيدون-نائب الأميرال (رتبة في البحرية)
(Comte Louis DEGUEYDON)



صورة رقم ٤

• ١٠ جوان ١٨٧٣ : أنطوان شنزي أمير الجيوش البرية والبحرية)

(Antoine CHANZY)



صورة رقم ٥

* ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ : لويس ترمان الوالي العام (مستشار الدولة) (Conseiller d'Etat)

(Louis TIRMAN)



صورة رقم ٦

١٨* أبريل ١٨٩١: جول كامبون الوالي العام (محافظ الرون) (Préfet du Rhône)
(Jules CAMBON)



صورة رقم ٧

*أول أكتوبر ١٨٩٧: لويس ليين - والي عام (محافظ شرطة) (Préfet de Police)
(Louis LEPINE)



صورة رقم ٨

٢٦* جويلية ١٨٩٨: إدوارد لافيرير - والى عام (نائب مستشار الدولة)

(Vice président du conseil d'Etat)
(Edouard LAFERRIERE)



صورة رقم ٩

٠٣* أكتوبر ١٩٠٠: سلسطان جونار - والى عام (député du pas de Calais)

(Célestin JONNART)



صورة رقم ١٠

١٨* جوان ١٩٠١ : بول ريفوال (ministre de plénipotentiaire)

(Paul REVOIL)



صورة رقم ١١

٢٨* جويلية ١٩٢١ : طيودور استيغ - والي عام (Sénateur de la Seine)

(Théodore STEEG)



صورة رقم ١٢

١٩* جويلية ١٩٤٠ : جان ابريال ، أمير البحر (Jean ABRIAL) (amiral)



صورة رقم ١٣

١٦* جويلية ١٩٤١ : ماكسيم فيفان- والي عام (القائد الأعلى للحربية) (membre de l'académie française) (Maxime WEYGAND)